

عائد من الظلام

بقلم / أعلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلٌ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليب



عائد من الظلام!

- الحلقة الحادية والعشرون -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة الحادية والعشرون -

#بقلم: #أحلام-النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة-مؤسسة-أوار-الحق



بذل "عثمان" جهداً كبيراً ليتمكن من التركيز خلال الدرس الشرعي؛ فقد كان مشغول البال مرهقاً من السر الذي يضم جوانحه عليه، ولاحظ الأمير عليه ذلك، وأدرك بفراسته أن المسألة مهمة ولا تُسرّ، إلا أنه تريث، حتى إذا انتهى الدرس: وجه أعضاء مجلسه للاجتماع، ثم التفت إلى "عثمان" قائلاً:

- تعال يا أخي "عثمان"، وأخبرنا ما وراءك.

نهض "عثمان" متوتراً، وقبل أن يلحق بالأمير: همس للمجاهد "طلحة" قائلاً، وهو يشير إلى "مادو" النائم:

- لا تغفلن عن أسيري لحظة بالله عليك يا أخي.

أوماً "طلحة" برأسه قائلاً:

- كن مطمئناً يا أخي "عثمان".

ولحق "عثمان" بالأمير، وهو لا يدري كيف يشرح ما جرى!

أما "مادو"؛ فإنه كان غارقاً في عرقه البارد، وفي كابوسه المعتاد، مع بعض التعديلات؛ إذ كانت المرأة ترمقه دامعة العينين، صامتة تماماً، إلا أن مرآها -برغم

صمتها- أصابه بالرعب والحيرة التي بات يملّ منها، فاستيقظ وهو يشعر بجفاف حلقه وبرودة أطرافه، ولم يعطِ أي تفسير للمجاهد "طلحة" المستغرب من حاله؛ خشية أن يكون كابوسه مادةً تسلية وتندر في هذا المكان أيضًا!

(٤٨)

طرق "ألبرت" باب المكتب، وحين سمع الإذن بالدخول ولجَ قائلاً:
- سيدي القس؛ بحسب سجلات كاتب الكنيسة؛ فإن في دير الراهبات امرأتين
باسم "هيلين".

قال "ألفرد" ساخطاً:
- وأفترض أن ذلك الغبي لم يذكر اسمها بالكامل لنعرف أي واحدة هي بالتحديد!
أليس كذلك؟!

رد "ألبرت" ببرود:
- ليس هذا من عادة الناس خلال الشجار يا سيدي!

واقترَب من "ألفرد" أكثر، وتابع:

- لكننا يمكننا معرفتها بسهولة يا سيدي! فـ "هيلين" التي نريدها: حبلى، ومن المؤكد أنها في وضع نفسي سيئ بسبب ظروفها الأخيرة، وكل هذا سيوصلنا إليها بسهولة.

انبسطت أسارير "ألفرد"، وقال مستحسنًا:

- أحسنت يا "ألبرت"؛ تفكير منطقي.

ونَهَض قائلاً وهو يشعل سيجارة:

- سيكون عليك الذهاب إلى القس "سيدريك"؛ لكي تطلب منه على لساني ترتيبَ لقاء لي معها.

نظر إليه "ألبرت" مستغربًا، وسأل يبراءة:

- هل تريد مساعدتها يا سيدي؟!

قهقه "ألفرد" بشدة لدرجة السعال، وحين استعاد سيطرته على نفسه قال:

- هل أنت أحمق أم شديد الظرف يا بني؟!

دمدم "ألبرت" بغضب مكتوم:

- لا هذا ولا ذاك يا سيدي! إنني أحاول أن أفهم فقط!

أخذ "ألفرد" نفساً من سيجارته، ثم قال باستعلاء:

- إنني سأسمح لها أن تساعدني في تنفيذ ما أريد!

وأشار بالسيجارة إلى "ألبرت" وتابع:

- عموماً ستفهم كل شيء لاحقاً، أما الآن؛ فعلينا أن نعود إلى المعسكر؛ إذ تأخرنا كثيراً.

غمغم "ألبرت":

- كما تريد يا سيدي.

(٤٩)

وثب "خالد" هاتفاً:

- ماذا تقول يا "عثمان"؟! أخبرته بكل شيء؟! كيف أخطأت خطأ كهذا؟! غفر الله لك!!

قال الأمير بهدوء:

- اهدأ يا أخي "خالد".

والتفت إلى "عثمان"، وقال بحزم:

- أخي "عثمان"، لقد أبديت شجاعة تليق بالمجاهد حين لم تسمح لضغوطات الصليبيين بالتأثير عليك، ولم تُدَلِّ بمعلومة واحدة، وكل هذا بتوفيق الله تعالى لك طبعاً، إلا أن أريحيَّتكَ في الكلام غير المجدي: تتنافى مع واجب الحرص وعدم الكلام دون فائدة.

خفض "عثمان" رأسه، وأغمض عينيه بنجل وندم قائلاً:

- أعرف أنني أخطأتُ، وكان علي أن أكون أكثر حكمة وحرصاً على الأمنيات، ولكنني...

ورفع رأسه ناظراً إلى الأمير برجاء:

- ... ظننتُ أنه أخونا "أحمد"، وكنتُ في شوق شديد لرؤية أحد إخواني.

ونظر إلى بقية الإخوة قائلاً:

- تعلمون كم هو كثيب أن يحاط المسلم بحثالة العلوج الصليبية طول الوقت! لا أرى
أمامي إلا نسايس وخنازير!

قال "عروة":

- معك حق، ولكن هذا لا يبرر الخطأ يا أخي.

خفض "عثمان" رأسه مجدداً، وهمس باستسلام:
- أعرف.

قال "الحسين":

- تقول إنك ظننته من منّا؟

قال "عثمان":

- ظننته أخانا "أحمد"، إنه.. إنه يشبهه جداً!!

وهنا، كان "أحمد" قد عاد من مهمته، فدخل خيمة الأمير منهكاً، وقال بتعب:

- السلام عليكم جميعاً.

رد الجميع السلام، فتابع "أحمد" بسرعة موجّهاً الحديث للأمير:
- للتو عدتُ وقصدتُكم مباشرة لأطلعكم على تقرير العملية كما طلبتَ يا أخي الأمير.

أشار الأمير له بالجلوس، ثم قال:
- بارك الله فيك يا أخي، استرح الآن.

والتفتَ إلى "عثمان" قائلاً بعتاب:
- هو ذا "أحمد" يا "عثمان"، لم يكن معك في السجن لحظة واحدة!

كان "عثمان" مذهولاً تماماً، بينما جرع "أحمد" بعض الماء على ثلاث دفعات، وإذ انتبه إلى وجود "عثمان"، فقد هرول نحوه مندهشاً سعيداً:
- أخي "عثمان"! الحمد لله على سلامتك! كم قلقتُ عليك!

غمغم "عثمان":
- سَلِمْتَ يا أخي "أحمد"، بارك الله فيك.

ولاحظ "أحمد" غرابة الجو، فسأل مختاراً:

- لكن معذرة يا إخوتي؛ فيمَ تتحدثون؟ وما علاقتي أنا بسجن أخينا "عثمان"؟

هتف "عثمان" منكسراً:

- خُيِّلَ إلي أنني رأيتك في السجن.

- أنا؟! كيف هذا؟! أنا لم أكن هناك!

كوّر "عثمان" قبضته بغیظ قائلاً:

- ذلك الصليبي الوضع! ظننته أنتَ وتكلمتُ معه بكل راحة، وحين أخبرني أنه شخص آخر: كدتُ أقتله لأن هذا يعني أنه جاسوس من الصليبيين عليّ، لكنه ينكر ذلك بوقاحة وإصرار!

وأمسك "عثمان" رأسه بآلم، وقال:

- أشعر أنني أكاد أجنّ.

قال الأمير:

- ولهذا أصررتُ على اصطحابه معكم؟

أوماً "عثمان" برأسه، وقال:

- نعم؛ إذ ما كنتُ لأتركُ لخطي فروعاً تمتد وتنتشر، وما كنت لأخاطر باحتمالية وصول المعلومات إلى الخنازير، برغم أن "مادو" مصرّ أنهم يبغضونه، كما يصرّ على براءته من تهمتي!

قال "عروة":

- بالمناسبة: نحن حتى الآن لم نرَ أسيرك الصليبي هذا.

سأل "خالد" قائلاً:

- بعد إذن الأمير؛ ماذا سنصنع به؟!

قال الأمير:

- صبراً حتى نفرغ من نقاط الأمر كله، لاحظوا أنهم لم يمانعوا أبداً من ذهابه مع إخواننا، كما أن الخطوط كلها أكّدت عدم وجود ملاحقة لا مباشرة ولا غير مباشرة؛ فهل هو فعلاً عديم قيمة بالنسبة لهم؟ وإن كان كذلك فلماذا كان بينهم من الأساس؟! أم أنه جاسوسٌ شديد الذكاء؟! وخطتهم لم تنكشف كلها بعد؟!

هتف "عثمان":

- كل شيء وارد يا فضيلة الأمير، وإن كان يبدو لي أحياناً أنه مجرد أبله، لكن غضي عليه شديد!!

رمقه "عروة" بعتاب، فهمس "عثمان" بحزن:
- والله لم أقصد! صدقوني إنه يشبه "أحمد" لدرجة لا تُصدّق!

نهض الأمير قائلاً:

- هلموا لنراه.

نهض الجميع، وخرجوا من الخيمة باتجاه "طلحة" الذي كان يحرس "مادو" المقيّد،
وحين وصلوا: أنهض "عثمان" "مادو"، ونزع العصاة التي كانت تغطي معظم
وجهه، وقال:

- انظروا إليه! ألا يبدو كأنه "أحمد"!!؟

واقترّب "أحمد" بسرعة لينظر إلى شبيهه مستغرباً من الأخ "عثمان"، ولكنه اندهش
كما اندهش "مادو" نفسه؛ كان كل منهما كأنما ينظر في مرآته الخاصة!

وبقي الاثنان يحدّق أحدهما في الآخر ذاهلاً، وسط دهشة الجميع من هذا الشبه العجيب، وفجأة.. مرّت بذهن "أحمد" ذكرى بعيدة أليمة، فشقق مصعوقاً، واغرو رقت عيناه بالدموع، وهتف:

- لكن.. هل هذا معقول؟! يا لرحمة الله!!

وهجم على "مادو"، وعانقه بحرارة وهو يبكي بحرقة، ويهتف وسط ذهول الجميع:

- "محمد"! أخي "محمد"! أخي الحبيب!!

لم يكن "مادو" يفهم أي شيء، بل كان في قمة ذهوله من تصرف "أحمد" الذي لم يتوقعه أبداً، غير أنه كان متأكداً من شيء واحد على الأقل؛ ولهذا همس:

- لكن أنا.. لستُ "محمدًا".

وهنا؛ انتبه "أحمد" إلى حقيقة الوضع الراهن، فتراخت ذراعه بسرعة، ثم ابتعد ببطء عن "مادو" الذي تابع بهمس:

- أنا.. أنا "مادو"، ولستُ "محمدًا".

همس "أحمد" بحزن وألم، وقد تحوّلت بقايا الدموع في عينيه إلى دموع حزن بعد أن كانت دموع فرح:

- نعم؛ أنت الآن فعلاً لستَ "محمدًا"، ولكنك.. ولكنك كنته من قبل!

وهتف بحرقه:

- كنته من قبل يا.. يا شقيقي!

وانسحب راکضاً، وجلس في زاوية، وأطرق ينشج بشدة، كان أغلب الحاضرين قد فهموا القصة، خاصة من كانوا يعرفون "أحمد" من قبل، ويعرفون جرحه القديم، وهمس "معاوية" لـ "الحسين":

- هل تعتقد حقاً أنه هو؟!

همس "الحسين":

- أغلب الظن نعم؛ إنهما فعلاً توءمان.

ونظر ناحية الأمير الذي كان يتابع كل شيء بتركيز، وسأل:

- ترى ماذا سيقدر الأمير الآن؟

يتبع ...

